أسرار إنجازات عريقة مطمورة تحت الأرض

بابل أرض العجائب ومهد الحضارات

بغداد- اخلاص مجيد

لطالما سمعنا عن اسرار حضارات العالم القديم وتبقى (بابل) اكبر الاسرار التي مازالت مطمورة تحت الماء لحد الان، تلك المدينة التي جمعت بين الروح والجمال وبين الحياة والموت او الجنة والارض، نجدها تارة توصف بانها المدينة الملعونة (ارض السحر، هاروت وماروت، والرقص والخمر والشعر والغزل) وتارة اخرى هي ارض الكنوز ومنابع الحياة حيث الحضارة باوج عضمتها، فهي الارض التي جمعت بين اقدم الديانات لتكتب على ارضها، وبين اول تحدي بين الانسان والرب والمتمثلة بقصة بناء برج بابل. وبابل التي نتجول بها الان تمثل بعض اسرار الحضارة الاصلية ليس لان بوابة عشتار محفوظة في متحف برلين لكن لان كل ما تم العثور عليه يعود لزمن الملك البابلي نبوخذ نصر فحسب، اما حضارة بابل بزمن حمورابي مازلنا لا نعلم عنها شيء فلم يتم اكتشافها لحد الان. وكانت اهم المعلومات الاثرية التي مكنتني من التمييز بين الواقع والخيال خلال مقابلتي مع أ.م.د. ليث مجيد حسين العبودي رئيس قسم الاثار بكلية بغداد الذي قال: " ان بابل كانت من المدن العملاقة اذ رجح العلماء الى ان تعداد السكان فيها يصل الى المليون في ذلك الوقت وهو رقم كبير جدا وهذا دليل على عظمة المدينة وعلى انها كانت عاصمة عالمية، انتهت بسقوطها بعد معركة أوبيس عام 539 ق.م على يد الفرس الأخمينيين بقيادة كورش الأكبر، بعد ان كانت قد وصلت اوج حضارتها، وبمبدا جئناكم محررين وليس فاتحين. ودليل عظمة هذه المدينة ان اسوارها كانت من حيث الضخامة كافية لان تشعرك بعظمة تلك المدينة وقد اعتبرت فيها من العجائب السبع فيها سور داخلي وسور خارجي وهي اسوار دفاعية بها ابراج، علما ان الامبراطورية البابلية وصلت لاجزاء كبيرة من العراق واطراف من الاناضول وبلاد الشام منوها الى بابل كانت مهمة في الرحالات اذ نجد ان العديد من الرحالة وصفوا مدينة بابل على حالها القديم، وما يزيد من اهمية المدينة ان هناك احتمال وجود قبر الاسكندر المقدوني في بابل لانه توفي في المدينة لكن لا يعلم لحد الان اين يوجد قبره بالضبط. وعن رمزية الاشكال الموجودة في بوابة المدينة وشارع الموكب يقول:" ان لها ارتباطات بالالهة واشكال الالهة فضلا عن معاني عدة كمبدأ الخصوبة والقوة ولاغراض سحرية لكن المعنى لها دائما يكون غير مكتوب او مميز لوجود عدة معاني لها فمثلا عشتار احد رموزها كان الثور وهو يرمز الى الخصوبة والاسد الى القوة لانها كانت اله الحب والحرب، اما الاله الرئيسي في بابل هو ميردخ ويرُمز اليه بالتنين المُركب الثُعباني الرأس، كذلك كان هناك تمثيل لزهرة البابونج. فيما يخص تمثال اسد بابل فهو غير معروف لحد الان من اين جاء او من قام بصنعه، لكن يقال ان الملك الذي حكم بابل خلال فترة (نابونائيد) واتخذ من عبادة الالهه القمر، وسكن في منطقة في تيماء، كان مولعا بجمع القطع الاثرية وهناك احتمال انه استجلب اسد بابل من خارج الامبراطورية البابلية مع بقية القطع الاثرية التي جلبها الى بابل، لكن ليس معروف حقيقة من اين جاء شكل الاسد بقطعة واحدة بهذا الحجم الضخم له، يربض فوق مجسم لامراة. وعن النسيج الخيالي الذي تم ترويجه حول بابل حصلنا على الاجابة العلمية بقول الدكتور ليث:"ان كل هذه القصص مجرد خيالات وخرافات، فكما تسرد القصص عن اللعنات مثل لعنة الفراعنة اشيرت الى بابل بانها المدينة الملعونة لانها لعنت في التوراة لاسباب تتعلق باضطهاد اليهود وتدمير مدينتهم واخذهم اسرى الى بابل، منوها الى ان التوراة كتبت من قبل الكهنة في ارض بابل خلال السبي البابلي، بعد كانوا قد تعرفوا على النصوص البابلية التي كانوا يجيدون قرائتها لذلك نجد ان قصة الخليقة الموجودة في التوراة هي عبارة عن قصة الخليقة البابلية، ولذلك ايضا يهتم اليهود بالحضارة البابلية لانهم يعتبرون انفسهم مرتبطين ببابل لوجودهم فيها لفترات زمنية طويلة، اما عن الاشارة الى بابل بانها كانت مدينة السحر والشعوذة فان هذا الجزء قد ذكر بالفعل في القران الكريم اذ جائت تسمية بابل صراحة فيه. اما ما يخص ظهور جبل من الذهب فلا اعتقد بصحة ذلك الا انه من المحتمل ان يتم العثور على الذهب المتبقي من الحضارة القديمة لانها كانت عاصمة غنية بكنوزها فقد سبق ان عثر على اكبر كنزين وهما المقبرة الملكية في اور ومقبرة الملكة الاشورية بابايا في اشور التي عثر فيها على 23كيلو غراماً من الذهب. خاصة ان بابل الحالية تعود لزمن نبوخذ نصر لثاني 562-605ق.م. في حين ان فترة حكم حمورابي التي كانت تعد الاقدم وامبراطورية مترامية الاطراف، فلم يتم العثور عليها لحد الان، لانها تقع ضمن منطقة المياه الجوفية من الصعب التنقيب للعثور عليها، ففي سنة من السنوات عندما انخفض منسوب نهر الحلة تمكن الالمان من الحفر للوصول الى فترة حضارة حمورابي ووجدوا بالفعل الواح طينية ورسائل معنونة واخذوا لها صورا لكن مع الاسف بقيت في الموقع بعدها اندلعت الحرب وبعد وقف القتال عادوا الى الموقع ليكتشفون انه تم سرقة الاثار، ولا يمتلكون غير الاستنساخات والصور التي تم التقاطها لتلك الاثار. وعن انضمام بابل الى لائحة التراث العالمي حدثنا رئيس قسم الاثار: كان من المقرر ان تنضم بابل الى لائحة التراث العالمي منذ بداية الثمانينات لكن اعادة بناء بابل تسبب بايقاف امور كثيرة اذ تم صرف الاموال على بناء مدينة مشابهة لمدينة بابل بزمن نبوخذ نصر بهدف اقامة الاحتفالات والمهرجانات فيها بدلا من ان يتم تسخيرها الى التنقيبات او الصيانة، هذا الامر شكل خسارة كبيرة حيث ان صب الاسمنت والبناء في المواقع الاثرية ادى الى طمر المعالم الاثرية الحقيقة وبالتالي سحبت الامم المتحدة دعمها واي عمل لليونسكو في المدينة في حين انه كان يمكن ان يكون مشروع عالمي اذ كان من المقرر أن تأتي جميع بعثات العالم للقيام بالتنقيب والبحث، وان تاخذ كل بعثة جزء من بابل للتنقيب فيها لان بابل مدينة عملاقة مترامية الاطراف لا يكفيها بعثة اوبعثتان تنقيبية او حتى ثلاثة لذلك بقت بابل بهذا الشكل. وعن التنقيبات التي جرت في ارض بابل اوضح الدكتور ليث ان بداية التنقيبات النظامية كانت في شباط 1902م من قبل الحملة الالمانية، وكانت التنقيبات تتم بطريقة بديعة جدا فقد كان المنقب يرسم بيده ويضع علامات للآجر لكي عندما يبدأ بتركيبها يعرف ان هذه العلامة تتطابق مع العلامة الاخرى الموجودة في الآجرة الثانية وهكذا حيث قام بوضع رموز ابتكرها لنفسه من اجل ان يثبت القطع بمكانها الصحيح وبشكل مطابق للبوابة الحقيقية تقريبا. واعتبر ان تهريب الاثار كارثة حضارية يمر بها البلد كان في الماضي بنطاق محدد لكن في الوقت الحالي اكتسب صيغة سيئة وتدميرية وان داعش ساهم بطمس المعالم الاثرية ولم يكن بهدف ديني كما يعلن عنه انما كان بهدف سرقة الآثار. اما الكوارث التي مرت بها الحضارة العراقية بشكل عام والبابلية بشكل خاص فقد اشار العبودي الى ان من الاتفاقيات الموثقة والمجحفة بحق العراق هي خط سكة الحديد برلين –بغداد- البصرة الذي سمي بخط الباءات الثلاث اذ نصت امتيازات الخط ان يعتبر على يسار سكة الحديد 20كم وعلى اليمين 20 كم ملك للامبراطورية الالمانية وبذلك فأن أي اثار او ثروات معدنية يتم العثور تذهب لصالح الامبراطورية الالمانية وهذه المناطق هائلة بكنوزها وكان المشروع استثماري بعيد المدى لكن الاتفاقية لم تطبق ولم يتم تنفيذ سكة الحديد، اذ وقفت بريطانيا بوجه المشروع بسبب الاطماع ايضا وكانت احد اسباب اندلاع الحرب العالمية الاولى كما سلمت ايضا 50% من الاثار التي تم العثور عليها في بابل لصالح الحملة الالمانية بموجب الاتفاقية التي عقدت بين الدولة العثمانية والدولة الالمانية حينها فان الاثار المهمة ذهبت لصالح الالمان مثل بوابة عشتار وشارع الموكب، اذ المبدأ منذ ذلك الوقت كان استغلال العراق خاصة ان الدولة العثمانية لم تكن تهتم بذلك فقد كان الوالي العثماني احيانا يهب للمنقبين بعض الاثار كهبة بدون مقابل.

بوابة عشتار الاثرية

زي بابلي

متاحف عالمية

وعن الاثار البابلية الموجودة في المتاحف العالمية اضاف :" تعد بوابة عشتار من اكبر اثار بابل، وهناك بوابتان في متحف برلين هما (البوابة المزججة الملونة المعروفة بوابة عشتار، والبوابة غير المزججة)، علما ان البوابة الحقيقية كانت اعلى بامتار عدة من المعروضة حاليا في المتحف، الى جانب شارع الموكب في عام 1926 وقد بعثت جيترود بيل التي عملت في مجال الاثار في العراق برسالة إلى متحف البيرجمون في برلين تذكر فيها موافقة الحكومة العراقية انذاك على إعادة الصّناديق الّتي تحتوي على القطع الأثرية لبوابة عشتار وشارع الموكب الّتي عثر عليها الألمان في تنقيباتهم في بابل، حيث احتوت الصّناديق على حوالي 300 ألف كسرة من الطّابوق المزجج وغير المزجج. ومن المشاريع والخطط المستقبلية اكد استمرار البعثات الاجنبية بالعمل خاصة في شمال وجنوب العراق، ومن جانبنا كقسم معني بالاثار فان القسم كان يركز قبل السقوط على التدريب العملي للطلبة لكن بعد السقوط عام 2003 ولحد الان توقف التدريب العملي اذ كان لدينا منطقة في اليوسفية تسمى منطقة سبار (أبو حبة) يتم ارسال الطلبه اليها يوم او يومين في الاسبوع لاجراء التنقيب العملي، لكننا نعمل الان على احياء الموضوع من جديد في منطقة اثرية قريبة في بغداد بالتعاون مع دائرة الاثار، لان التدريب العملي مهم جدا للاثاري ليتعلم كيف يذهب للحقل ويباشر عمله بالتنقيب والحفر ونحن نسعى الى ان نوازي الجامعات الغربية في مجال دراسة الاثار ومن الخطط المستقبلية والحصرية للمجلة السياحة العربية هناك تنسيق بشأن ان تباشر احدى البعثات الايطالية في العراق باعمال التنقيب ويتم اشراك وتدريب طلبتنا فيها ويوجد بوادر واستعداد لهذا الامر، وتحتاج الى مزيدا من التنسيق من اجل التنفيذ. لقاء اخر جمعنا برئيس فريق إدراج بابل على لائحة التراث العالمي ومدير عام دائرة الشؤون الإدارية في وزارة الثقافة والسياحة والآثار الاستاذ رعد علاوي الذي اوضح قائلا: يعتبر التراث الثقافي ثروة لاتقدر بثمن ولا يمكن تعويضها ليس فقط للبلد المعني وانما للبشرية جمعاء، ولأول مرة منذ عام 1982 نجحت الحكومة العراقية ممثلة بوزارة الثقافة والهيئة العامة للآثار والتراث باجتياز اللجنة التقنية لدى (اليونسكو) المتخصصة في تدقيق ملفات التراث العالمي بضم بابل الى لائحة التراث العالمي علما انه تم اعداد الملف من قبل الخبراء العراقيين من هيئة الاثار وكتب بايادي واقلام عراقية. مشيرا الى ان " اتفاقية التراث العالمي" التي اعتمدت 1972وضعت معايير وشروط لتسجيل الممتلكات في قائمة التراث العالمي من اجل تقدير القيمة العالمية الاستثنائية للمتلكات، وقد عرضت علينا اليونسكو عشر معايير من اجل قبول الملف بابل ضمن لائحة التراث العالمي اخترنا منها معيار السلامة او/ الاصالة وبناء على نوع التراث الثقافي، وسياقة الثقافي، فيما يخص مجموعة من الصفات المميزة لهذا التراث مثل: الشكل والتصميم، المادة والجوهر، الاستعمال والوظيفة، التقاليد والتقنيات ونظم الادارة، المكان والمحيط، اللغة وسائر اشكال التراث غير المادي، الروح والاحساس، وعوامل اخرى داخلية وخارجية) في اطار التطبيق العملي لشروط الاصالة، واخترنا ان يكون عنوان الكتاب (بابلون) لان اسم مدينة بابل وحدة دليل عظم المدينة تاريخيا، وقد تمكنا من شرح بنود الملف واقناع اغلبية اعضاء لجنة التراث العالمي المؤلفة من 21عضوا وانتهى بالتصويت على الملف بادراجه في قائمة التراث العالمي. معربا عن تفائله بالقول:" انه تم تاهيل المدينة اثريا وفنيا، بكل ما تستحقه هذه المدينة الحضارية باثارها وعراقتها المعروفة حيث تمت صيانة وتاهيل عدد من المباني في مدينة بابل الأثرية وتاهيل طريق الزائرين ووضع لوحات تعريفية لجميع الشواخص الأثرية في الموقع وتنظيم الكراجات والارصفة تخفيضها بطريقة فنية وحضارية وتاهيل المتاحف والممرات وتسييج المناطق الاثرية وغيرها من التحضيرات التي تسمح بتكوين فكرة عن الابعاد الفنية والتاريخية والاجتماعية والعلمية التي يختص بها التراث الثقافي، مشيرا الى ان الجهود المترامية تكاثفت لتحقيق ذلك الهدف السامي، الى جانب االاعمال التطوعية التي اكدت على حرص المواطن والمؤسسات المعنية للحفاظ على الموروث الثقافي كما تم انشاء مركز شرطة لحماية الحدود المهمة من التجاوز. وتابع علاوي: الآن أصبحت بابل ترتدي حلة جديدة بجهود اللجنة الخاصة في وزارة الثقافة وبالتعاون مع مفتشية آثار بابل وبعض منظمات المجتمع المدني، من اجل وضع الإرث الثقافي العراقي في مكانه الحقيقي. واكد المدير العام ان الوزارة فاتحت وزارة الري لمعالجة المياه الجوفية التي تتسرب للمواقع الاثرية وهناك محاولات لتنظيم مجرى نهر الفرات مستقبلا في محاولة لاكتشاف الاثار غير المنقبة كما سبق وان حصلت موافقة مجلس الوزراء على تخصيص مبلغ لصيانة وترميم الخاصة بمشروع ضم مدينة بابل الى لائحة التراث العالمي ، اما بخصوص التغطية الاعلامية لابراز حضارة بابل للعالم اكد ان الوزارة لديها مشروعا اخر يتضمن عرضا كبير في المسرح البابلي يحضره سفراء الدول الاعضاء في اللجنة ووكلاء سفراء الدول الاخرى لتوضيح وشرح تاريخ مدينة بابل فضلا عن عرضا تاريخيا للأزياء البابلية.

بث رسالة

كما انه تم بث رسالة الى العالم بواسطة القنوات الاذاعية والمواقع الالكترونية بعنوان "بابل لكل العالم". ومن جانبها بينت الدكتورة الالمانية كارين رادينر التي عملت في مجال التنقيبات الاثرية في العراق وسوريا، ان ان اول منقب في بابل كان ايطالي الجنسية ثم فرنسا بعدها جاء البريطانيين ثم الالمان، وكانت شركة الهند الشرقية البريطانية اول من بدأت بالتنقيب في بابل، وان العلاقة الشخصية التي كانت تربط السلطان العثماني عبد الحميد الثاني بالامبراطورية الالمانية ساهمت بمنح الاذن بالتنقيب في أي موقع، وقد ذهب كل ما تم العثور عليه خلال الحملة الالمانية في بابل الى اسطنبول اولا وكان حمدي بيك الشخص المعني وصاحب القرار لاختيار أي قطع تذهب الى المانيا، فعندما استخرجت القطع الاثرية لم تكن كما هي موجودة الان انما كانت عبارة عن قطع مكسورة ومشوهه المعالم مما تطلب الكثير من المعالجة اذ تم الاحتفاظ بهذه القطع في برلين لمدة ثلاثون عاما ليتم تركيبها، لذلك فان البوابة الان في برلين علما ان ثلث واحد من القطع فيها اصلية والبقية تركيب. وتشير الى ان هناك تقليد لدى العراقيين يكمن حول اهمية ايجاد عاصمة قوية لهم، وكانت العاصمة الاشورية او البابلية مثالا لذلك، الا ان الاختلاف بينهما بالنسبة لنظام توريث الحكم فالامبراطورية الاشورية كانت تعتقد ان الملك يكتسب قدسية الالوهية وتورث لابنائه ايضا، فالملك مقدس كشخص لانه يعتبر اداة بيد الله وبالتالي فان ما يقوله او ما يؤمر به مقدس ايضا لانه مرسل من الاله اشور، في حين لم تعتقد الامبراطورية البابلية بانتقال صفة الالوهية للملك علما ان في بلاد اشور كان هناك الاله اشور وفي بابل كان الاله ميردوخ وكلاهما يمثلان قوتان.

امرسون في دار المأمون

حين كان استاذي المترجم الكبير بسام البزاز يلقي محاضرة نقية كعين الديك تساءلت كم شخصا ممن لا نعرفهم يشبهون الدكتور الذي استمع له في هذه اللحظة.؟

تساءلت وانا استمع لمحاضرة عن افق الترجمة كم مثقفا لدينا في مختلف المجالات الفنية والانسانية والعلمية وباقي المجالات حرموا من تنفيذ افكارهم..؟ ترى

من المسؤول عن ضياع هذه الطاقات،ومن الذي سيتحمل نتائج هذا الاهمال لعشرات العلماء والمثقفين والفنانين.؟

فكرت وما زلت افكر لماذا يحاصر الفاشلون الرجال الاكثر حكمة ثم يبعدونهم كأنهم خطر علينا، وياتي مكانهم اشخاص غير مؤهلين بتاتا لاستلام ابسط وظيفة.

انا اتحدث عن مصير خطير يلاحق النابهين والمثقفين الذين هم على شاكلة الدكتور بسام البزاز الذين يتعرضون لشتى انواع التضييق والحرمان.

فهل يعقل ان تظل الدولة بعيدة عن رؤى طبقة المثقفين الحقيقيين،وكأنها في واد ونحن في واد اخر.

ربما يكون شعار هذا الزمن القوا المبدعين والصادقين من السفينة وليظلوا يصارعون الامواج.هذا اذا ما نراه في كل يوم.لعبة يستبعد فيها صاحب الرؤى النزيه لياتي من لا نزاهة لديه ولا رؤية. تخيلت جيشا كبيرا من المبعدين في كل المجالات.

اصحاب تطلعات ثقافية رفيعة حرموا من كل دعم ناهيك عن اساليب العقاب التي تطبق عليهم.

لذا يعتقد الفاسدون انهم ينتصرون دائما.ولعل ما لا يعرفه فاشلو زمني ان كل نزيه صادق لن يهتم لاي اجراء يتخذ ضده.ذلك لان استاذا كبيرا كبسام البزاز سيظل يرفد مكتبتنا بترجمات كثيرة.

اضافة الى المئات من تلاميذه ممن يرون فيه نجما في سماء الامل.

كنت اتمنى ان تكون هذه الحكومة اكثر حرصا على اصحاب الاصلاح فيها الذين افنوا حياتهم من اجل الثقافة والعلم.

لو استمعت اليهم وكرمتهم ونفذت برامجهم فكيف سيكون حال هذا الوطن.؟

قد ياتي هذا الزمن الذي احلم عن قريب.لكن ما تعلمته من تلك المحاضرة ان الصدق يخلق لنا عقلا جديدا.ان تهديم ما هو زائف يتطلب عملا طويلا.

لذا اقول بكل بساطة ان المحاضرة العميقة البسيطة التي تحدث فيها استاذي الكبير كانت رسالة اخلاقية تشبه خطابات امرسون العظيمة لامته الامريكية.لاقل اذا ان الدكتور بسام البزاز هو امرسون زمني بلا منازع .

نوزاد حسن

بغداد

الحب والكتب

مجلة العربي، المجلة الثقافية الأولى في الوطن العربي، من حيث التوزيع والتصميم والتاريخ.

نشرت في العدد (726) في أيار 2019 في الصفحة الأخيرة للكاتب العُماني محمد الرحبي مقالاً بعنوان (مقاربات بين الحب والكتب) جاء فيه (كنتُ ذلك الطفل الذي قرأ معلَّقة قيس بن الملوح الملقب بالمجنون... لمجرد أنَّهُ لم يتزوج محبوبته عبلة).

وقع التباس وتكرر بين شاعرين: قيس بن الملوح والملقب بمجنون ليلى (68 -24 للهجرة) شاعر غزل عربي، من المتيمين، من أهل نجد. عاش في فترة خلافة مروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان في القرن الأول من الهجرة في بادية العرب.

هبطت مكانة الشعر في الإسلام ولم يعد ثَمَّة معلَّقات بأستار الكعبة، لكن تداول السَّبع معلقات ما زال مستمراً إلى يومنا.

كتبَ ابن عبد ربه في كتابه (العقد الفريد) بعنوان (المعلقات) (لقد بلغ من كلف العرب بالشعر، وتفضيلها له، أنْ عَمَدَت إلى سبع قصائد تخيّرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطيّ المدرجة، وعلقتها بين أستار الكعبة، فمنه يقال: مذهبة امرئ القيس، ومذهبة زهير. والمذهبات سبع، وقد يقال لها المعلقات) وذكرَ سبعة أسماء: لأمرئ القيس: قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل.

ولزهير: أمن أمّ أوفى دمنة لم تكلّم. ولطرفة: لخولة أطلال ببرقة ثهمد. ولعنترة: يا دار عبلة بالجواء تكلّمي. ولعمرو بن كلثوم: ألا هبي بصحنك فاصبحينا. وللبيد: عفت الديار محلّها فمقامها.

وللحارث بن حلزة: آذنتنا ببينها أسماءُ. ظننتُ المقصود هو الشاعر الجاهلي عنترة بن شداد العبسي، والمعلَّقة تبدأ ببيت شهير هَلْ غَادَرَ الشُعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّم، أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدّارَ بَعْدَ تَوَهُّم). لكنَ الكاتب يتحدث عن قصيدة قيس (المؤنسة) والتي تبدأ (تَذَكَّرتُ لَيلى وَالسِنينَ الخَواليا، وَأَيّامَ لا نَخشى عَلى اللَهوِ ناهِيا).

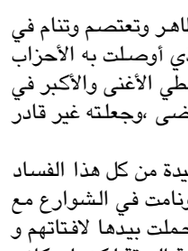

عبد الكريم يحيى الزيباري

دهوك

متى يُستجاب لحملة الشهادات العليا ؟

اليوم أهمُ شرائح المجتمع وعياً وثقافةً وعلماً ،تتظاهر وتعتصم وتنام في شوارع بغداد وساحاتها ،بسبب سوء حالها الذي أوصلت به الأحزاب المتقاسمة للسلطة ،بلدها صاحب الإحتياط النفطي الأغنى والأكبر في العالم ،إلى هذا الواقع المزري من الفساد و الفوضى ،وجعلته غير قادر على احتوائهم في وزارات و مؤسسات الدولة .

ولو كانت هناك أحزابٌ وطنيةٌ صادقة وغير مستفيدة من كل هذا الفساد والفوضى التي صنعتها ،لتظاهرت واعتصمت ونامت في الشوارع مع أؤلئك الخريجون من حملة الشهادات العليا ،ولحملت بيدها لافتاتهم و هتفت بشعاراتهم ،حتى تحقيق مطالبهم الوطنية الحقة لكن..لو كانت هناك ؟!

آلاف الشهادات الدينية من حوزات دول مجاورة لرجال دين ،تمت معادلتها بالماجستير والدكتوراه ،وعُيِّنَ أصحابها في الجامعات الحكومية والرسمية العراقية على مدى الأربعة عشر عاما الماضية ،بينما يقول اليوم رئيس الوزراء الحالي عادل عبد المهدي لحملة الشهادات العليا الحقيقون وهم يتظاهرون و يعتصمون للشهر الثالث على التوالي مطالبين بتعيينهم : لا نقدر على استيعابكم و تعيينكم في مؤسسات الدولة !.

والمفارقة العجيبة لقول السيد عادل عبد المهدي ، مؤخراً،و قبل ايام قليلة حكومته ،تُعيد (47) ألف مفصول منذ العام 2008 و حتى العام 2019 برتب مختلفة إلى وزارة الداخلية ،يعني أنها وفرت (47) ألف درجة وظيفية جديدة،بينما لا تحرك (الحكومة) ساكناً إزاء (4) آلاف خريج من حملة الشهادات العليا،وهم يصبحون ويمسون في باب وزارة التعليم العالي لليوم 71.

ورغم تناول خطب و منابر الجُمع لضرورة الاهتمام بهذه الشريحة المهمة والمعطلة للارتقاء بالمجتمع والنهوض به من سباته ونومه وترديه ،لكن دون جدوى ، ليبقى السؤال،متى يستجاب لحملة الشهادات العليا بتحقيق مطالبهم بالتعيين ،ليعودوا الى اهليهم وذويهم بعد ثلاثة أشهر من الاعتصام ؟!

حسين محمد الفيحان

كربلاء

استطلاع

زيوت عطرية من إنتاج أشجار ظفار

بخور عماني أغلى من الذهب ويشفي جميع الأمراض

لندن - كريستوفر بيكر

كانت رائحة البخور تفوح عبر أروقة مزدحمة بسوق مطرح بالعاصمة العمانية مسقط، بينما تتخلل رائحة المسك مدن عمان وثقافتها، ويستقبل أريجها المميز الزائر أينما جال بأجواء تلك البلاد.

اجتذبني ذاك العطر الساحر المتصاعد من دخان المباخر الفضية والذهبية أمام دكاكين البهار والتمر، بينما تلمست النساء بعباياتهن السوداء الفضفاضة أوشحة الحرير الزاهي، وتفقد الرجال بالدشاديش البيضاء والعمامات المميزة حبات اللبان البيضاء التي تشبه الحصى بألوان بيضاء وسمراء شبه شفافة.

هكذا بدت مسقط بسحرها، مذكرة بقصص وردت بالكتاب المقدس، وكان سوق مطرح بين أماكن قليلة في العالم يمكن للمرء فيها شراء الذهب وبخور اللبان، والمر، وهي الهدايا الثلاث التي قدمها المجوس للطفل يسوع. كانت تلك الهدايا أثمن ما يقدم قبل ألفي عام، إذ كان اللبان يوماً يثمن بالذهب.ولستة آلاف عام دخل اللبان العماني في صناعة البخور، كما استخدم كدواء لمتاعب شتى، وهو مادة تشبه الصمغ ذات رائحة زكية تفرزها أشجار تنمو في مناطق تمتد من القرن الأفريقي إلى الهند وحتى جنوب الصين.

صراعات حادة

واستورد العالم أغلب اللبان من الصومال وإريتريا واليمن، وهي البلدان التي شهدت صراعات حادة في السنوات الأخيرة، وهو ما أثر على إنتاجها. أما عمان فتنعم بالسلام وتنتج أفضل لبان العالم وأثمنه. وقديما أطلق الفراعنة على اللبان اسم "عرق الآلهة".وتنمو أشجار اللبان من الفصيلة البوسويلية في إقليم ظفار الوعر جنوبي عمان، وتتحدد جودة اللبان وفق اللون والحجم وتركز الزيوت العطرية فيه، وأغلى أنواعه "الحُوجري" الذي تنتجه الأشجار بنطاق محدود من جبال ظفار لا يصله رزاز أمطار الصيف الموسمية.

واليوم تنتشر أشجار اللبان بالمنطقة التي تخترقها دروب القوافل المتصلة بالمرافئ التي تعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد. وقد أدرجتها اليونيسكو ضمن قائمة التراث العالمي تحت عنوان "أرض اللبان"، ووصفت المنظمة تجارتها بأنها "كانت بين أبرز الأنشطة التي ازدهرت لقرون عدة قديما وخلال العصور الوسطى".

من هنا انطلقت القوافل التي ضمت آلاف الجمال والعبيد محملة باللبان في رحلة برية شاقة بطول ألفي كيلومتر عبر صحراء جزيرة العرب متجهة إلى مصر وبابل وبلاد الإغريق والرومان، كما أبحرت سفن اللبان حتى الصين. ويقول المؤرخ الروماني بلينيوس الأكبر (79-23 ميلادية) إن تجارة اللبان جعلت العرب الجنوبيين "أغنى أهل الأرض".

واعتبر اللبان في زمانه مسكنا للآلام ومكافحا للأمراض، بل ومقويا جنسيا، وشاع استخدامه لعلاج كافة المتاعب والأمراض، من آلام الحيض وحتى سرطان الجلد! ووصفه أحد أطباء عسكر الإغريق، ويدعى فيدانيوس ديسقوريدوس، بأنه دواء لكل داء، موصيا باستخدام صمغه في علاج القروح والتئام الجروح.

كما ورد ذكره في بردية إبيرس المصرية القديمة للطب، كعلاج للربو والنزيف والتهاب الحلق والقيء وغيره. واستجلب المصريون كميات ضخمة منه للعطر وطرد الحشرات وللاستخدام في التحنيط، وقد عثر على دهان منه بمقبرة توت عنخ آمون عام 1922.

واستخدم في البخور في مراسم دينية ومراسم للتطهير، واعتقد أن بخوره يصعد إلى السماء وقد شاع استخدامه بالمعابد في العالم القديم.وقال لي المرشد عمرو بن حمد الحسني أثناء اصطحابي لزيارة قلعة نزوى، التي تعود للقرن السابع عشر بمحافظة الداخلية شمالي عمان، "إننا نحرق اللبان لطرد الثعابين". وتكتسب القلعة أهميتها من موقعها الاستراتيجي عند مفترق طرق تجارية عدة حتى لقبت يوما بـ "بيضة الإسلام". وتقول ميثاء الزهراء ناصر الحسني، التي تعمل بمحل الهدايا التذكارية بالقلعة، إن اللبان يستخدم أيضا كبخور "لطرد الجن". ويبيع المحل الكثير من الزيوت العطرية للبان ومستحضراته، وقد فاحت رائحته من ثياب مرشدي.لقد أدهشني خلال زيارتي لعمان مدى تغلغل اللبان في ثقافة تلك البلاد. ففي نزوى رأيت العمانيين يمضغونه، وأخبرني بائع أن النساء الحوامل يتناولنه أيضا إذ يعتقدن أنه سيجعلهن يلدن طفلا ذكيا. كما يدخل في أدوية ومشروبات ساخنة تساعد على الهضم وتحسين البشرة.ويبخر العمانيون منازلهم به لطرد البعوض، وبعد الطعام للترحاب بضيوفهم. وكلما غلا ثمن اللبان المستخدم دل ذلك على مقام صاحب الدار واحترامه للضيف.وتقول تريفي هاريس، صاحبة شركة أنفلوراج لتقطير اللبان بعمان، إن العمانيين يشيرون إلى حبات اللبان (ويسمونها "دموع اللبان") من جبل سمحان أو حاسك باعتبارها الأفضل، وتصف اللبان الوارد من ساحل ظفار جنوب شرقي البلاد باعتباره "الأنقى والأذكى رائحة".وقد أرتني غرفة من أدوات التقطير النحاسية القديمة التي تستخدم في استخلاص الزيت العطري من اللبان. أرتني أيضا سلة تحوي حبات لبان فاتحة اللون وأخرى غامقة بنية اللون، إذ يختلف اللون باختلاف التربة والطقس ووقت الحصاد، وعادة كلما كان اللون فاتحا علت قيمة اللبان.وخلال الصيف تصنع هاريس حلوى مثلجة (آيس كريم) بنكهة اللبان، ويقبل عليها العمانيون بمنفذ البيع الذي تستأجره بسوق مسقط.

زيوت عطرية

وفدت هاريس إلى عمان عام 2006 لتشتري اللبان لمتجرها للزيوت العطرية في نيويورك، وتقول: "لكني لم أجد حتى في عمان إلا الزيت الصومالي، ولم أجد الزيت العماني الأعلى جودة، إذ لم يقطره أحد للبيع حينها ولا حتى شركة أمواج!"، مشيرة لشركة عمانية شهيرة للعطور تتخصص في إنتاج عطور اللبان الراقية (تتكلف قارورة 100 ملل من عطر أمواج بتركيز اللبان 283 جنيها إسترلينيا).

وفي عام 2011 انتقلت إلى صلالة عاصمة محافظة ظفار وأسست شركة "أنفلوراج"، وهي اليوم في مسقط وتبيع لشركات عطور عالمية، وشركات زيوت عطرية، و"زبائن يطلبون عطر اللبان الراقي المميز".ويستخلص اللبان العماني بالكامل تقريبا من أشجار البوسويليا التي تنمو بريا بصحراء ظفار وتملكها قبائل المنطقة. ويبدأ حصاد اللبان في إبريل/نيسان من كل عام، لأن الحرارة تجعل الصمغ ينساب بشكل أسهل بعد تشريط لحاء الشجر متجمعا كالحليب الأبيض قبل أن يصبح كالشمع ثم يترك عشرة أيام ليجمد تماما ثم تكشط "الدموع" ويشرط العمال نفس المنطقة من اللحاء وتعاد الكرة مرارا. ومع حلول الخريف تستخلص الغلة الأفضل والأنقى لونا. وتستخدم الشجرة لخمس سنوات ثم تترك خمسا وهكذا.

وفي السنوات الأخيرة زاد الطلب العالمي بشدة على أشجار اللبان العماني النادرة. ويقول جوشوا السلامية، خبير النباتات ومؤلف كتاب عن تلك الأشجار، إن تجدد الاهتمام باللبان واستخدامه في الزيوت العطرية والعلاجات في السوق العالمي ضغط أكثر على البيئة الطبيعية لأشجار البوسويليا، والتي أصبحت الآن ضمن قائمة الأنواع المهددة.

وأظهرت دراسة نشرتها مؤخرا مجلة "نيتشر" أن تلك الأشجار معرضة للانقراض، لدرجة أن إنتاج اللبان سيقل للنصف خلال السنوات العشرين المقبلة. وحذر تقرير آخر من أن إنتاج اللبان قل فعلا من عشرة كيلوغرامات للشجرة في المتوسط إلى 3.3 كيلوغراما، بينما انخفضت أعداد تلك الأشجار بمحمية جبل سمحان بظفار بنحو 85 في المئة خلال العقدين الماضيين.ويشير العلماء إلى الجفاف والرعي الجائر والحشرات المؤذية والحصاد غير القانوني من جانب مهربين صوماليين، كأسباب لانخفاض كمية اللبان، وهو ما حدا بسلطان عمان في السنوات الأخيرة لنشر حرس مسلح لحماية أودية اللبان.ويقول محسن العمري، مدير بالجمعية البيئية العمانية، إن الحصاد غير المستدام لتلك الأشجار هو الخطر الأكبر "فالعمال غير المتمرسين يضربون بالأشجار"، إذ يحصدون من أشجار غضة لم تكبر ويستنفدون الأشجار كاملة النمو لتلبية الطلب المتزايد بينما لا ينمو ما يكفي من أشجار للتعويض.

عطر: استخدم اللبان منذ ستة آلاف عام كعطر ودواء